**حقيقة آل البيت   
في المنظور القرآني**

**مؤلف:**

**حارث عبد الحميد الشوكاني**

**هذا الكتاب تم تنزيله من موقع العقيدة**

**www.aqeedeh.com**

|  |  |  |  |  |  |
| --- | --- | --- | --- | --- | --- |
| **العنوان البريدي:** | |  | book@aqeedeh.com | | |
| **بعض المواقع الإسلامية النافعة باللغة الفارسية** | | | | |
| www.nourtv.net  www.sadaislam.com  www.islamhouse.com  www.bidary.net  www.tabesh.net  www.farsi.sunnionline.us  www.sunni-news.net www.mohtadeen.com  www.ijtehadat.com  www.islam411.com  www.videofarsi.com | | |  | www.aqeedeh.com  www.islamtxt.com  www.ahlesonnat.com  www.isl.org.uk  www.islamtape.com  www.blestfamily.com  www.islamworldnews.com  www.islamage.com  www.islamwebpedia.com  www.islampp.com  www.videofarda.com |

# بسم الله الرحمن الرحیم

ديننا الإسلاميّ العظيم دينٌ عالـميّ الرّسالة، إنسانيّ الوجهة والـمنطلق، أنزله الله رحمة للعالـمين؛ لإخراج النّاس من ظلمـات العبوديّة والاستبداد والظّلم، إلى نور الحرّية والعدالة والـمساواة.

ولكن دخل على ديننا الحنيف من تأويل الجاهلين، وانتحال الـمبطلين، وتحريف الغالين ما عكّر صفو مبادئه وقيمه السّامية، لا سيّما في عصور الانحطاط والتخلّف، ولذلك يتوجّب على علماء الإسلام ومفكّري هذه الأمّة كمـا تصدّوا للتيّارات الفكريّة الـمـاديّة والإلحاديّة التي حاولت النّيل من الإسلام من خارجه- أن يتصدّوا أيضًا للأفكار والـمفاهيم الـمغلوطة التي ضربت مقاصد الدّين، وشوّهت تعاليم الإسلام من داخله.

ومن أخطر الـمفاهيم التي شوّهت عالـميّة الإسلام ومقاصده الداعية إلى الحريّة والـمساواة والعدالة والشّورى والوحدة- تلك الـمفاهيم والأطروحات التي فسّرت الإسلام تفسيرًا عنصريًّا جاهليًّا عبر الادّعاء بالحقّ الإلهيّ للولاية العامّة في آل البيت.

فهذا هو القاسم الـمشترك بين الفرق والـمذاهب الشّيعيّة في الجملة على اختلافها في التّفصيل، وهو رفض مبدأ الشّورى كأساس تقوم عليه الدّولة الإسلاميّة والولاية العامّة، مع أنه أصل قرآني قطعيّ السّند والدّلالة بصريح القرآن: ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الشوری: 38].

وادّعاء كافّة هذه الـمذاهب والفرق الشّيعيّة بالحقّ الإلهيّ للولاية العامّة في الإمام عليّ بن أبي طالب س وكرّم الله وجهه وأولاده من بعده- بحجّة أنّ الإمام عليّ وأولاده هم أهل بيت رسول الله ص وبالتّالي فالإمامة والولاية العامّة حقّ محتكر لآل بيت رسول الله وأهله، محروم منها كافّة الـمؤمنين الذين لا ينتسبون –بزعمهم- لآل البيت أو أهل البيت، زاعمين أنّ العلم والتّقوى غير كافية لتولّي الولاية العامّة والخلافة والسّلطة السّياسيّة الإسلاميّة، بل لا بدّ من الأفضليّة العنصريّة.

هذا التّأويل العنصريّ الاستعلائيّ الاستكباريّ للحقوق السّياسيّة والاجتماعيّة في الإسلام هو ما ترتكز عليه الـمذاهب الشّيعيّة الـمختلفة، ابتداء من الـمذهب الهادويّ الـمنتحل للإمام زيد، ومرورًا بالـمذهب (الاثناعشري) الـمنتحل للإمام جعفر الصادق، وانتهاء بالـمذهب الباطني الإسماعيلي الـمنتحل للإمام إسماعيل.

ولـمّـا كانت نظريّة الإمامة والولاية القائمة على الحقّ الإلهيّ في مختلف الـمذاهب الشّيعيّة ترتكز على أساس أفضليّة آل بيت رسول الله وأهله من النّسب والطين لا آله من الإيمان والدّين رأيت مناقشة موضوع من هم آل البيت وأهل البيت في القرآن؛ لتقويض هذه الخزعبلات الشّيعيّة من أساسها، وصدق عالـم اليمن وشاعرها الإمام نشوان بن سعيد الحميري القائل في بيان من هم آل البيت:-

|  |  |
| --- | --- |
| آلُ النّبي هم أتباع ملّته | من الأعاجم والسّودان والعربِ |
| لو لم يكن آله إلاّ قرابته | صلّى الـمصلّي على الطّاغي أبي لهبِ |

ولا يخفى في هذا الـمقام للمتعمّق في دراسة الـمذاهب الشّيعيّة بأن التّشيّع في الحقيقة هو التّأويل الـمجوسيّ للإسلام؛ فمن الـمعروف أنّ مجوس الفرس بعد سقوط الدّولة الفارسيّة سياسيًّا وعسكريًّا رفعوا شعار (عجزنا عن مقاتلتهم على التّنـزيل فسنقاتلهم على التّأويل)، وقد أكّد القرآن خطورة هذا التّأويل بقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِه﴾ [آل‌عمران: 7]. ويتعزّز هذا الفهم لهذه الآية بأنّ الـمقصود بهذا التّأويل هم الـمجوس بصورة خاصّة، بقول الرسول ص في الحديث الصّحيح الـمتن لـموافقة متن الحديث لـمتن الآية: «سيكون أناس من أمتى يضربون القرآن بعضه ببعض ليبطلوه ويتبعون ما تشابه منه ويزعمون أن لهم فى أمر ربهم سبيلاً ولكل دين مجوس وهم مجوس أمتي» أخرجه ابن عساكر، وبقول الرسول ص: «لِكُلِّ أُمَّةٍ مَجُوسٌ وَمَجُوسُ أُمَّتِى القدريّة» أي الـمنكرين للقدر، وفي لفظ: «لِكُلِّ أُمَّةٍ مَجُوسٌ وَمَجُوسُ أُمَّتِى الَّذِينَ يَقُولُونَ لاَ قَدَرَ إِنْ مَرِضُوا فَلاَ تَعُودُوهُمْ وَإِنْ مَاتُوا فَلاَ تَشْهَدُوهُمْ». حسن - صحيح الجامع للألباني.

وأكبر دليل على أنّ النّظريّة السّياسيّة الشّيعيّة القائلة بالحقّ الإلهيّ والرّافضة لمبدأ الشّورى نابعة من رؤوس مجوس الكوفة وجنوب العراق الذي يُدعَى تاريخيًّا عراق العجم هو حديث رسول الله ص الصّحيح، الذي أشار فيه إلى أنّ فتنة وقرن الشّيطان وتسعة أعشار الشّر ستأتي من العراق بقوله ص: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا , اللَّهُمَّ بَارِكْ فِي يَمَنِنَا, فَقَالَهَا مِرَارًا , فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ , قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَفِي عِرَاقِنَا, قَالَ:إِنَّ بِهَا الزَّلازِلَ, وَالْفِتَنَ, وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ» وزاد في آخره (وبها تسعة أعشار الشّرّ). (السّلسلة الصّحيحة للألباني).

ويتعزّز هذا الفهم بفهم الإمام عليّ س وأولاده الذين كانوا خير من جسّدوا معاني الإسلام؛ فالإمام عليّ س الذي تربّى في كنف الوحي الإلهيّ، والرسول ص فهم الإسلام كما فهمه الصّحابة وأهل السّنة، بأن الولاية العامة والخلافة تقوم على أساس الشّورى لا نظريّة الحقّ الإلهيّ الـمجوسيّة، والدّليل القطعيّ على ذلك ما ورد في كتب الشّيعة نفسها في نهج البلاغة الـمعتمد عند كلّ فرق الشيعة حيث قال: «إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشّاهد أن يختار، ولا للغائب أن يردّ، وإنّما الشّورى للمهاجرين والأنصار فإن اجتمعوا على رجل وسمّوه إمامًا كان ذلك لله رضًا، فإنْ خرج منهم خارج بطعن أو بدعة ردّوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتّباعه غير سبيل الـمؤمنين وولاّه الله ما تولّى». [نهج البلاغة: ج3 ص7].

وقول الإمام علي هذا له عدّة دلالات هامّة منها:

- قناعته بشرعيّة الخلفاء من قبله.

- تأكيده على أنّ الشّورى هي الوسيلة الشّرعيّة التي تقوم عليها الولاية العامّة في الـمنظور الإسلاميّ، وأنّ هذه الوسيلة (الشّورى) هي لله رضا.

- استنكاره لأيّ خارج على الولاية الشّورويّة ببدعة أو نهج يخالف هذا النهج، بما فيها نظريّة الإمامة والحقّ الإلهيّ الـمجوسيّة.

فهذا دليل قاطع على أنّ نظريّة الحقّ الإلهيّ الرّافضة لمبدأ الشّورى القرآني لا علاقة لها بالإمام علي س وإنما هي فكرة مجوسيّة لا علاقة لها بالإسلام، كما أنّ القول الـمشهور للإمام علي: «اعرفْ الحقَّ تعرف أهلَه». يتناقض مع الـمذاهب الشّيعيّة كافّة القائمة على أساس «اعرفْ أهل البيت تعرف الحقّ» وهذه الـمقولة للإمام عليّ وهو الفقيه والعالـم استقاها من قوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [الأعراف: 3].

ونجد الإمام زيد بن علي س يجسّد نفس الـمعاني الإسلاميّة حيث كان يؤمن بأنّ الولاية تتم بالشّورى، ويقرّ كأبيه بشرعيّة ولاية الخلفاء الرّاشدين بدليل أنه عندما ذهب إلى العراق، والتقى مجوس الكوفة رفض البراءة من الشّيخين أبي بكر وعمر ب عندما طلب منه مجوس الكوفة ذلك، وقال لهؤلاء الـمجوس: (اذهبوا فأنتم الرّافضة)، فكان أوّل إمام سنّي يطلق على الشّيعة هذا اللّقب (الرّافضة)، وهكذا بذل الإمام زيد بن عليّ س نفسه من أجل تزكية أبي بكر وعمر؛ لأنّ الجيش الـمجوسيّ الـمحيط به تخلّى عنه عندما رفض البراءة من الشّيخين، وتسبّب ذلك في استشهاده دفاعًا عن الشّيخين.

كما أنّ طلب مجوس الكوفة من الإمام زيد البراءة من الشّيخين دليل آخر أنّ نظريّة الحقّ الإلهيّ في الولاية العامّة للإمام عليّ وأولاده قد نبعت من عند مجوس الكوفة لا من الإمام عليّ وأولاده ش جميعًا الذين كانوا خير من جسّدوا معاني الإسلام كما أوضحت.

كما أنّ إصرار الفرس الـمجوس على هذه النّظريّة السّياسيّة التي تحصر الحقّ السّياسيّ في الإمام عليّ وأولاده - وهم أهل مطامع سياسيّة كما نعلم - تدلّ على أنّهم انتحلوا هذا النّسب العلويّ بعد مقتل الإمام عليّ، والإمام الحسين، والإمام زيد ليصبح شعار آل البيت وأهل البيت هو الغطاء الشّرعيّ للمطامع السّياسيّة الفارسيّة الـمجوسيّة، والـمفترض أنّ الفرس الـمجوس يرفضون حصر الإمامة والولاية في العرب، فضلاً عن الإمام عليّ وأولاده لو لـم يفكّروا في انتحال هذا النّسب.

ويتعزّز هذا الفهم بحديث الرّسول ص الذي ذكر فيه انتحال الـمبطلين أي انتحال النّسب النّبويّ الكريم في قوله ص: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال الـمبطلين، وتأويل الجاهلين» [صحّحه الإمام أحمد – الجامع الكبير للسيوطي].

وقد أكّد علماء الإسلام هذا الانتحال ّ للنّسب العلويّ، من ذلك نسب عبيد الله الـمهدي مؤسّس الدّولة العبيديّة في الـمغرب والفاطميّة في مصر حيث ذكروا أنّ عبيد الله الـمهدي مجوسيّ انتحل النّسب العلويّ كذبًا وزورًا.

وصدق شاعر اليمن أبو الأحرار الشّهيد محمد محمود الزبيري عندما قال:

|  |  |
| --- | --- |
| حاشا لله أنْ يكونوا لطه | بل وحاشا أن ينتموا ليزيدِ |
| لو يصحّ انتسابُهم لعليّ | كرّم الله وجهَه في الخلودِ |
| لاقشعرّت دماؤهم من حياءٍ | وأبتْ أن تجري لهم في وريدِ |

وليس أدلّ على أنّ هؤلاء الرّافضة الـمجوس أهل ضلال وانحراف عن جوهر الإسلام من تشكيكهم في أصول الوحي الإلهيّ قرآنًا وسنّة من خلال الطّعن في القرآن، عبر الزّعم بأنّه قد بُدّل وحُرّف، وطعنهم في السّنّة النّبويّة وتكفيرهم وطعنهم في الصّحابة -رضوان الله عليهم- الذين زكّاهم صريح القرآن بقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة: 100]. والطّعن في نساء النّبيّ ص وعرض رسول الله، وتأويلهم للعقيدة الإسلاميّة تأويلاً إلحاديًّا عبر إنكار ذات الله وصفاته تحت شعار التّنـزيه، وتأويلهم للشّريعة الإسلاميّة تأويلاً طاغوتيًّا عبر نظريّة الحقّ الإلهيّ الـمجافية لمبدأ الشّورى الأصل القرآنيّ القطعيّ.

فمأاذا بقي من الإسلام بعد هذه الـمطاعن الـمجوسيّة الرافضيّة في أهم مقاصده وأسسه.

وفي هذا السّياق سأبيّن حقيقة آل البيت بأنّهم الأتباع قيمًا ودينًا، لا نسبًا وطينًا، وسأحشد بإذنه تعالى الأدلّة الـمتواترة القاطعة الدّلالة من القرآن والسّنّة لهدم بيت العنكبوت.. البيت الـمجوسيّ الخبيث الـمنتحل للبيت النبويّ الطيّب كذبًا وزورًا، وصدق الله العظيم القائل: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١﴾ [العنکبوت: 41]. والقائل: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ﴾ [آل‌عمران: 179].

وصدق شيخ الإسلام الإمام محمد بن علي الشوكاني عندما قال:

|  |  |
| --- | --- |
| الذّنبُ لي عند أهل الرّفض كلِّهمِ | أنّي لهدم بيوت الرّفض أحتشدُ |

والقائل:

|  |  |
| --- | --- |
| قبيحٌ لا يمـاثلُه قبيحٌ | لعمر أبيك دينُ الرافضين |
| أباحوا في عليٍّ كلَّ نكرٍ | وأخفوا من فضائله اليقينا |
| وسبّوا لا رُعُوا أصحابَ طه | وعادَوا من حذاهم أجمعينا |
| وقالوا دينُهم دينٌ قويمٌ | ألا لعن الإلهُ الكاذبينا |

أولاً: الـمنهجيّة الصّحيحة للفهم والاستدلال

قبل أن أشرع في الـمناقشة الـموضوعيّة للأدلّة الشّرعيّة لـموضوع من هم آل البيت وأهل البيت، لا بدّ ابتداء من الاتّفاق على الـمنهجيّة الصّحيحة للفهم والاستدلال؛ لأنّ الأزمة الـمعرفيّة التي تعاني منها العقليّة الإسلاميّة اليوم هي أزمة منهجيّة تولّد عنها أزمة معرفيّة، تولّد عنها أزمة تصوّريّة، وهذه الصّدوع التي تعرّضت لها العقليّة الإسلاميّة هي نتاج الهجمة التأويليّة والـمعرفيّة الـمجوسيّة واليهوديّة.

تولّد عن هذه الهجمة الشّرسة ما يمكن تسميته بالعقليّة النّصيّة الجزئيّة لا الكليّة، ونقصد بهذه العقليّة: العقليّة البسيطة غير القادرة على الفهم التحليليّ الاستنباطيّ التركيبيّ العقليّة التي تستخدم ملكة الحفظ أكثر من ملكة الفهم، ولذلك نجدها تتعامل مع النّصوص الشّرعيّة بطريقة مجزّأة كنصوص وليس كمواضيع، في حين أنّ الـمنهجيّة الصّحيحة لفهم القرآن والسّنة هي البحث فيهما كمواضيع وليس كنصوص مجزّأة بجمع كلّ نصوص الـموضوع الواحد في وحدة موضوعيّة واحدة، مع التّمييز بين مراتب الأدلّة موضوع الاستدلال إحكامًا وتشابهًا، يقينًا وظنًّا، قوّة وضعفًا، أصولاً وفروعًا، كلّيات وجزئيّات، سندًا ومتنًا، عامًا وخاصًّا مجملاً ومقيّدًا.

وحتى نصل إلى هذه الـمعالـم الـمنهجيّة لا بدّ من الاتّفاق على هذه القواعد الـمنهجيّة للفهم والاستدلال على النّحو التّالي:-

1- لفهم نصوص الوحي فهمًا لا يخلّ بوحدتها الـموضوعيّة لا بدّ من الرّبط بين مقاصد الشّريعة وكلّياتها وجزئيّاتها ربطًا يؤدّي إلى تساوق وتوافق هذه الـمحاور وتولّد بعضها عن بعض لا فهمًا يضرب بعضها ببعض ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: 82].

2- وللوصول إلى هذا الفهم الذي يربط بين الـمقاصد والكليّات والجزئيّات ربطًا متوافقًا غير متخالف لا بدّ أن تكون الـمقاصد العامّة للإسلام واضحة أمام العالِم.

3- بعد تحديد الـمقاصد العامّة للإسلام يتمّ البحث في أصول وكليّات الـمعاني القرآنيّة (الـمحكمـات) قبل الفرعيّات والجزئيّات (الـمتشابه)، وحتى نصل إلى هذا الفهم لا بدّ من البحث في نصوص الوحي كموضوعات وليس كنصوص مجزّأة، فأبحث -على سبيل الـمثال- موضوع الولاية العامّة والخلافة أو موضوع آل البيت كموضوع كلّي.

وفي هذا السّياق يتمّ جمع كافّة النّصوص الواردة في القرآن والسّنة الـمتعلّقة بالـموضوع ثمّ فهمها فهمًا متوافقًا كوحدة موضوعيّة واحدة، يفسّر بعضها بعضًا لا فهمًا متضاربًا متعارضًا بين نصوص الـموضوع الواحد.

4- بعد جمع أدلّة الـموضوع الواحد يجب التّفريق بين أصول معاني الـموضوع (الـمحكمـات) وفروعه (الـمتشابهات)؛ لأنّ لكلّ علم وموضوع قواعد وأصول وجزئيّات وفروع، ولا يمكن الوصول إلى الفهم الـمحكم لأدلّة الـموضوع الواحد إلاّ إذا تمّ تحديد أصول الـموضوع أولاً، ثمّ تركيب فروع الـموضوع على أصوله؛ لأنّ منشأ التّشابه يأتي من الاستشهاد بالأدلّة الفرعيّة قبل أصولها.

5- بعد البحث الكلّي عن موضوع معيّن في القرآن والفراغ من تحديد أصوله وفروعه أقوم بعرض هذا الـموضوع الكلّي على الـمقاصد العامّة للتأكد من عدم فهم هذا الـموضوع بمـا يعارض الـمقاصد العامّة.

6- لابدّ من التّفريق بين نصوص الوحي كتابًا وسنّة من حيث حجّيّتها وبين فهوم العلمـاء لها؛ فالقداسة إنّما هي ثابتة للوحي الـمعصوم قرآنًا معصومًا وسنّة معصومة بالقرآن، أمّا فهوم العلمـاء فهي عرضة للخطأ في الفهم بحكم بشريّتهم وعرضة للتأثّر والتأطّر بخصوصيّة الواقع الظّرفيّ زمانًا ومكانًا، وبالتّالي فلا يمكن سحب قداسة الوحي على فهومهم، ولا تبرز حجّيّتها إلاّ بإسناد فهمهم بدليل من الكتاب والسّنّة لقوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [الأعراف: 3]. وقوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: 50].

7- في إطار نصوص الوحي لابدّ من التّفريق بين ما هو نصّ قرآنيّ ونصّ لحديث نبويّ؛ فالقرآن مقدم في الاعتبار على السّنّة النّبويّة سندًا ومتنًا؛ لأنّ القرآن قطعيّ يقينيّ والسّنّة النّبويّة الصّحيحة الأحاديّة باستثناء الـمتواترة ظنّيّة، كمـا قرّر ذلك علمـاء الحديث والفقه.

8- ونصوص السّنّة الأحاديّة الصّحيحة السّند متّفق على العمل بها ما لم تصادم وتخالف وتناقض نصوص القرآن ومقاصد الشّريعة، وعند حدوث التّعارض بين نصوص القرآن ونصوص السّنة يتمّ العمل بالـمبدأ الأصوليّ الـمعروف (مبدأ التّعارض والتّرجيح) أي العمل بقاعدة الـموازنة بين الأدلّة والتّرجيح؛ أيْ نسعى للتّوفيق بين نصّ الحديث ونصّ القرآن، ولو أدّى الأمر -كما يقول علماء الأصول- إلى الأخذ بالـمفهوم الـمرجوح وترك الـمفهوم الراجح للحديث النّبويّ ليوافق النّصّ القرآنيّ فإن استحالت عمليّة التّرجيح تمّ ردّ الحديث الـمعارض للقرآن، كمـا قرّر ذلك علمـاء الأصول، على رأسهم الإمام الشّاطبيّ في كتابه الـموافقات وكيف أنّ أم الـمؤمنين عائشة ل ردّت حديث رسول الله ص الصّحيح السّند الضّعيف الـمتن (إنّ الـميّت ليُعذّب ببكاء أهله) لتعارضه مع قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ﴾ وكمـا قرّر ذلك علمـاء الحديث على رأسهم الإمام البخاري؛ فقد أورد في صحيحة أنّ عائشة ردّت هذا الحديث لتعارضه مع القرآن بالرّواية التّالية: «فَلَمَّا أُصِيبَ عُمَرُ دَخَلَ صُهَيْبٌ يَبْكِي يَقُولُ: وَا أَخَاهُ، وَا صَاحِبَاهُ، فَقَالَ عُمَرُ س: يَا صُهَيْبُ أَتَبْكِي عَلَيَّ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِص إِنَّ الْـمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبَعْضِ بُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ؟! قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ب: فَلَمَّا مَاتَ عُمَرُ س ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ ل فَقَالَتْ: رَحِمَ اللَّهُ عُمَر،َ وَاللَّهِ مَا حَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ ص إِنَّ اللَّهَ لَيُعَذِّبُ الْـمُؤْمِنَ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ، وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَيَزِيدُ الْكَافِرَ عَذَابًا بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ، وَقَالَتْ حَسْبُكُمْ الْقُرْآنُ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ﴾. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ب عِنْدَ ذَلِكَ: وَاللَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى» (5)(33).

وقد أكّد الشيخ الألباني الـمحدّث الـمعاصر الشّهير في كتابة الآيات البيّنات في عدم سماع الأموات بأنّ صحّة السّند لا تستوجب صحّة الـمتن، وأنّ هذه قاعدة مشهورة عند علمـاء الحديث بقوله: «الـمقرّر في علم مصطلح الحديث أنّ صحّة الحديث لا يستلزم صحّة الـمتن لعلّة فيه خفيّة أو شذوذ من أحد رواته».

وذكر ابن القيّم في كتابه (الـمنار الـمنيف في الصّحيح من الضّعيف) أمورًا كليّه يعرف بها كون الحديث موضوعًا منها مخالفة الحديث لصريح القرآن.

وقد جاء ابن القيّم بأمثلة كثيرة منها:

\* مقدار الدّنيا (7000) سنة، وهذا يُخالف القرآن ﴿يَسۡ‍َٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ [الأعراف: 187].

\* لا يدخل الجنّة ولد الزنا, وهو يُخالف: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ﴾ [الأنعام: 164].

وقال ابن الجوزي: (إذا رأيت الحديث يباين الـمعقول، أو يخالف الـمنقول أو يناقض الأصول فاعلم أنه موضوع ). (الـموضوعات لابن الجوزي- تدريب الرّاوي للسيوطي 274).

وأنا أوافق ابن الجوزي في مخالفة الحديث للمنقول؛ أيْ القرآن، ولا أوافقه في مخالفة الـمعقول بشكل مطلق؛ لأنّ مخالفة الـمعقول أمر نسبيّ من إنسان إلى آخر؛ فقد يتوهّم الـمرء مخالفة الحديث للمعقول وهو غير مخالف، إلاّ ما ثبت قطعيًّا في مخالفة الـمعقول على ضوء القاعدة التي قرّرها ابن تيميّة : في أنّ صحيح العقل لا يتعارض مع صحيح النّقل.

كما أنّه من الـمعلوم أنّ الإمام مالك س الفقيه والـمحدّث الـمعروف صاحب كتاب الـموطّأ كان يقدّم عمل أهل الـمدينة على خبر الآحاد، فضلاً عن تقديم الـمعنى القرآنيّ على الحديث النبويّ الآحاديّ إذا تعارض معه، وإلى هذا الـمعنى أشار ابن تيميّة بقوله: «(وَلا تُعَارَضُ السُّنَّةُ بِإِجْمَاعِ وَأَكْثَرُ أَلْفَاظِ الْآثَار،ِ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَالطَّالِبُ قَدْ لا يَجِدُ مَطْلُوبَهُ فِي السُّنَّةِ، مَعَ أَنَّهُ فِيهَا، وَكَذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ، فَيَجُوزُ لَهُ إذَا لَمْ يَجِدْهُ فِي الْقُرْآنِ أَنْ يَطْلُبَهُ فِي السُّنَّةِ، وَإِذَا كَانَ فِي السُّنَّةِ لَمْ يَكُنْ مَا فِي السُّنَّةِ مُعَارِضًا لِـمَـا فِي الْقُرْآنِ، وَكَذَلِكَ الإجْمَاعُ الصَّحِيحُ لا يُعَارِضُ كِتَابًا وَلا سُنَّةً» مجموع الفتاوى. (4)(208).

الأصول الـمحكمة الـمتعلّقة بمفهوم أهل البيت، وآل البيت في القرآن بعد بيان معالـم منهج الاستدلال والفهم للوحي، وأهميّة الصّدور في التّعامل مع نصوص الوحي عن رؤية كلّيّة شموليّة- تدخل جزئيّات الشّريعة ضمن كلّيّاتها، وتدرج كلّيّات الشّريعة تحت مقاصدها؛ ليتشكّل من هذا التّرابط نسيج محكم يتحقّق من خلاله التّوافق الـموضوعيّ للنّصوص، وبيان محاذير الاستدلال الـمجزَّأ للنّصوص الذي قد يؤدّي إلى تعارض النّصوص بعضها مع بعض، وإلى فهم بعض النّصوص الجزئيّة فهمًا س طحيًّا مباشرًا يطوّح بمقاصد الدّين وغاياته ومراميه.

لنحاول انطلاقًا من هذه الـمنهجيّة فهم النّصوص الـمتعلّقة بموضوع آل البيت في القرآن والسّنة بما يؤدّي إلى إبراز هذا الـموضوع في وحدة موضوعيّة متكاملة عبر طرح الـمحكم في هذا الـموضوع وأمّهات الـمعاني ثم مناقشة الأدلّة الفرعيّة في ضوء الأصول الـمحكمة، وإذا حصل أيّ تعارض بين الأدلّة الفرعيّة والأصول الـمحكمة أعملنا القاعدة الأصوليّة (قاعدة التّعارض والتّرجيح) لإيجاد التّوافق بين نصوص السّنة ونصوص القرآن الـمحكمة، وما لم فالاعتبار يكون للنّصوص القرآنيّة الـمحكمة على النحو التّالي:-

(1) نسب الدّم والطّين ونسب الإيمان والدّين:

من الـمعلوم أنّ كلمة بيت وأخ وأب وأم وآل وأهل وعترة تُطلق في الاستخدام اللّغويّ والعرفيّ، ويُقصد بها نسب الدّم والطّين، لكن الـمتدبّر في القرآن والسّنة سيجد أنّ القرآن قد استخدم هذه الـمصطلحات (بيت – أخ – أب – أم – آل – أهل) استخدامًا شرعيًّا ترتّب على هذا الاستخدام القرآنيّ نسب وآصرة دينيّة لا نسب وآصرة طينيّة بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ [الحجرات: 10]. فهذه الآية صريحة الدّلالة في اعتبار الـمؤمنين إخوة دينًا، مع أنّ الـمألوف أنّ هذا التعبير (أخ) لا تُطلق إلاّ على الأخوّة من القرابة والدم لا من الإيمان والقيم، ولم يكتفِ القرآن بالتّأكيد على أنّ الـمؤمنين إخوة، وإنّما أطلق على نساء النّبيّ ص أمّهات الـمؤمنين بصريح قوله تعالى: ﴿وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ﴾ [الأحزاب: 6]. وبهذا يمكننا القول بأنّنا أمام معادلة كالـمعادلة الرياضيّة فنقول: «ما دام الـمؤمنون إخوة وأزواج النّبيّ ص أمّهاتهم؛ إذًا فالنّبيّص أبو الـمؤمنين أبوّة دينيّة لا طينيّة»، ويتعزّز هذا الفهم بأنّ النّبيّ ص أبو الـمؤمنين دينًا لا طينًا بقوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ﴾ [الأحزاب: 6]. فصريح القرآن جعل النّبيّ ص وليّ أمر الـمؤمنين؛ فكأنّ الـمقصود بالتّعبير هذا هو تقرير أبوّة محمد ص للمؤمنين، ويتعزّز هذا الفهم بمنهجيّة تفسير القرآن بالقرآن بقوله تعالى: ﴿وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ﴾.

ومن الـمعلوم أنّ الأب في إطار الأسرة يُسمّى وليّ الأمر وربّ البيت، فكلمة (أب – ووليّ – وربّ البيت) تُطلق في اللّغة العربيّة بمعاني مترادفة، ويتعزّز هذا الفهم بقوله تعالى في سياق إبراهيم ÷ عندما ادّعى اليهود أنّهم آل بيته دمًا وطينًا، فجاء القرآن، وردّ على اليهود بأنّ أولى النّاس بإبراهيم هم محمد ص والـمؤمنين، وليس اليهود في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٨﴾ [آل‌عمران: 68]. فقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ﴾ مطابقة لقوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾.

ولـمّـا كان القرآن قد أطلق على إبراهيم صفة الأبوّة للمسلمين «أبوّة الدّين لا أبوّة الطّين» في قوله تعالى: «مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمينَ مِن قَبْلُ»، فهذه آية قرآنيّة تدلّ على أنّ الـمقصود بالـمصطلح القرآنيّ (أولى) في سياق إبراهيم و(أولى) في سياق محمد ص أبوّة الدّين لا أبوّة الطّين.

وبهذا نخلص إلى معنى هامّ، وهو أنّ كلمة أهل وآل إذا كانت في الـمصطلح اللّغويّ والعرفيّ تُطلق على نسب الطّين إلاّ أنّ القرآن في الـمصطلح الشّرعيّ قد نقل آصرة النّسب من الطّين إلى الدّين، فاعتبر الـمؤمنين إخوة، وزوجات النّبيّ ص أمّهاتهم والنّبيّ ص أبوهم دينًا لا طينًا.

وبهذا يتّضح أنّ أهل البيت وآل البيت في الـمنظور القرآنيّ هم الـمنتسبون إلى الرّسول محمدص دينًا (الـمؤمنون) لا الـمنتسبون للرّسول ص طينًا (بنو هاشم).

ويتعزّز هذا الفهم بقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١﴾ [المؤمنون: 101].

فهذه الآيات البيّنات أكّدت أنّ معيار الحساب يوم القيامة هو العمل الصّالح لا الأنساب ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾، وقد يقول قائل: إنّ هذه الآية النّافية للأنساب هي في الآخرة، وليس في الدّنيا فنقول لهم الآية في هذا الـموضع تتحدّث عن الحساب يوم القيامة وحساب يوم القيامة إنما هو محصّلة لأعمال النّاس في الدّنيا إنْ خيرًا فخير وإن شرًا فشرّ بدليل قوله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الأعراف: 8]. ويتأكّد هذا الفهم بقول الرّسول ص: «لا يأتيني النّاس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم»، وقول الرّسول: ص فيما يرويه عن ربه في الحديث القدسيّ: «يقول الله يوم القيامة أيّها النّاس إنّي جعلتُ نسبًا، وجعلتم نسبًا، فجعلتُ أكرمكم عند الله أتقاكم، فأبيتم إلاّ أن تقولوا: فلان بن فلان وفلان أكرم من فلان، وإني اليوم أرفع نسبي، وأضع نسبكم. ألا إنّ أوليائيَ الـمتّقون». (الـمعجم الصغير – الطبراني).

وحديث الرّسول ص الصّحيح عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ قال: «كُنَّا قُعُودًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّه، فَذَكَرَ الْفِتَنَ فَأَكْثَرَ فِي ذِكْرِهَا حَتَّى ذَكَرَ فِتْنَةَ الأحْلاسِ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا فِتْنَةُ الأحْلاسِ؟ قَال: هِيَ هَرَبٌ وَحَرْبٌ، ثُمَّ فِتْنَةُ السَّرَّاءِ دَخَنُهَا مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنِّي، وَلَيْسَ مِنِّي، وَإِنَّمَا أَوْلِيَائِي الْـمُتَّقُونَ». [رواه أبو داود وأحمد وصحّحه الألباني].

(2) قصّة نوح والـمعنى الشّرعيّ لأهل نوح:-

ويتعزّز الفهم السّالف لمفهوم أهل البيت في الـمنظور القرآنيّ إلى درجة القطع في قصّة نوح ÷ بقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٤٥ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡ‍َٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٤٦ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡ‍َٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٤٧﴾ [هود: 45-47].

فنجد صريح القرآن في هذا السّياق يؤكّد بدلالة قطعيّة مفهوم أهل البيت في القرآن بأن أهل البيت هم الـمنتسبون للأنبياء دينًا وعملاً صالحًا وإيمانًا، لا الـمنتسبون دمًا وعرقًا وسلالة؛ فمن الـمعلوم أنّ ابن نوح من أهله دمًا في الاستخدام الـمتعارَف عليه عند النّاس وفي اللّغة، ولكنّ القرآن ينفي هذه الصّفة عنه بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾ ودليل النّفي في هذا الـمقام أقوى من دليل الإثبات، وزيادة في التّحذير القرآنيّ جاء قوله تعالى: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾.

وبهذا نفهم أنّ كلّ من أثبت معنى أهل البيت بنسب الطّين ونفى نسب الدّين قد قال في هذا الأمر بغير علم، ثم يشدّد القرآن على نوح بقوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ وكلمة الجاهلين في هذا السّياق تتجاوز معنى الجهل إلى معنى الجاهليّة؛ أيْ أهل الجاهليّة، وأهل الجاهليّة هم أهل العصبيّة الجاهليّة الذين قال فيهم الرّسول ص بأحاديث صحيحة: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ» (دعوها فإنّها منتنة).

(3) وحدة الأصل البشريّ:

الزّاعمين بأحقيّتهم بالولاية بدعوى أنّ لهم نسبًا يرتبط بالنّبيّ ص نردّ عليهم بدليل قطعيّ قرآنيّ وهو التّأكيد الإلهيّ في القرآن بأنّ البشريّة تتحدّر من أصل واحد؛ فكلّ البشريّة تعود بجذورها إلى أبينا آدم ÷ أيْ أنّ البشريّة في الـمنظور القرآنيّ ليسوا أمّة واحدة وشعبًا واحدًا فحسب، بل هم أسرة واحدة وبيت واحد بيت آدم ÷ والأدلّة القرآنيّة الـمؤكّدة بأنّ البشريّة تتحدّر من أصل واحد ونفس واحدة هي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: 1]. وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ ٩٨﴾ [الأنعام: 98]. وقوله تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ [الزمر: 6]. فهذه الآيات البيّنات أكّدت بدلالة قطعيّة وحدة الأصل البشريّ؛ فكلّهم يرجعون لآدم ÷.

ولذلك نجد القرآن في خطابه للبشريّة يستخدم هذا النّداء (يَا بَنِي آدَمَ) تأكيدًا لهذه الـمعاني من ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠﴾ [یس: 60]. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠﴾ [الإسراء: 70].

ومن هذا الـمنطلق نقول: إنّ الزّاعمين بأحقيّتهم في الولاية بدعوى النّسب الـمرتبط بالرّسول محمد ص مردود عليهم بقاعدة وحدة الأصل البشريّ، وأنّ كلّ البشريّة ينتسبون إلى أبينا آدم ÷ فإذا كان للانتساب بالرّسل ميزة؛ فهذه الـميزة يشترك فيها كلّ البشر مسلمهم وكافرهم؛ فكلّ البشريّة هم آل آدم، وأهل بيته ÷ وآدم هو نبيّ الله ورسوله، وبهذه الحقيقة القرآنيّة القاطعة تنقطع دعوى كلّ لسان يدّعي الأفضليّة العنصريّة بالتّحدّر من سلالة نبيّ ورسوله، والزّعم بأنّها سلالة مقدّسة والآخرون سلالة مدنّسة، وأنّ هذه السّلالة الـمقدّسة هي سادة البشر لهم السّلطة والعلم والثروة، وأنّ بقيّة البشر خُلقوا لهم عبيدًا وخدمًا.

ونجد السّنة النّبويّة مطابقة للقرآن في التّأكيد على وحدة الأصل البشريّ، وأنّ معيار التّفاضل ليس قائمًا على الأنساب بل على التّقوى في حديث الرّسول ص «يا أيّها النّاس: إنّ ربّكم واحد، وإنّ أباكم واحد، ألا لا فضل لعربيّ على عجميّ، ولا لعجميّ على عربيّ، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلاّ بالتّقوى». رواه الإمام البيهقي، من حديث جابر س.

وكذلك روى أحمد في الـمسند (2 /361 ح8721) عن أبي هريرة بلفظ: «إنّ الله ﻷ قد أذهب عنكم عصبية الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقيّ وفاجر شقيّ، والنّاس بنو آدم وآدم من تراب، لينتهينّ أقوام فخرهم برجال أو ليكوننّ أهون عند الله من عدتهم من الجعلان التي تدفع بأنفها النّتن»..

والحديث القدسيّ الذي أوردناه سابقًا: «قول الله يوم القيامة أيّها النّاس إني جعلتُ نسبًا، وجعلتُم نسبًا، فجعلتُ أكرمكم عند الله أتقاكم فأبيتم إلاّ أن تقولوا: فلان بن فلان، وفلان أكرم من فلان، وإنّي اليوم أرفع نسبي، وأضع نسبكم، ألا إنّ أوليائيَ الـمتّقون».

فكلّ هذه الأحاديث أكّدت وحدة الأصل البشريّ وأفضليّة التّقوى، وقول الرّسول ص: «وإنّي اليوم أرفع نسبي، وأضع نسبكم، ألا إنّ أوليائيَ الـمتّقون» تأكيد لـمـا أسلفته من أنّ هناك نسب دينٍ ونسب طين.

الأصول الـمحكمة الـمتعلّقة بمفهوم أهل البيت وآل البيت في القرآن

(4) الـمعنى الـمحكم لآل البيت في القرآن بأنّهم الأتباع:-

لو تدبّرنا القرآن لوجدنا الـمعاني القرآنيّة تتواتر في تقرير وتأكيد نسب الدّين وإلغاء نسب الطّين، من ذلك مصطلح آل البيت فهو يردّ في القرآن بمعنى الأتباع من الـمؤمنين وليس بالـمعنى السّلاليّ العنصريّ:-

- ففي سياق ادّعاء اليهود بأنّهم آل إبراهيم سلالة وعرقًا ناقش القرآن هذه الدّعوى، ونفى أنّهم آل إبراهيم، مع أنّهم من سلالته فعلاً، وقرّر أنّ أولى النّاس بإبراهيم هم أتباعه من الـمؤمنين على رأسهم محمد ص بما يؤكّد بدليل قرآنيّ قطعيّ أنّ الآل هم الأتباع في قوله تعالى: ﴿ ِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٨﴾ [آل‌عمران: 68]. فقوله تعالى: ﴿لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ دليل قطعيّ قرآنيّ بأنّ آل إبراهيم وأولى النّاس به هم أتباعه من الـمؤمنين لا اليهود الـمنتسبون إليه دمًا وعرقًا، وصدق عالـم اليمن الجليل نشوان بن سعيد الحميري عندما قال:

|  |  |
| --- | --- |
| آل النّبيّ هم أتباع ملّته | من الأعاجم والسّودان والعربِ |
| لو لم يكنْ آله إلاّ قرابتَه | صلّى الـمصلي على الطّاغي أبي لهب |

- ويتعزّز هذا الفهم بأنّ الآل في القرآن تأتي بمعنى الأتباع بمنهجيّة تفسير القرآن بالقرآن بقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطِۢ بِٱلنُّذُرِ ٣٣ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ ٣٤﴾ [القمر: 33-34].

فالآل هنا وردت بمعنى أتباع لوط من الـمؤمنين؛ لأنّ النّجاة في الـمعيار القرآنيّ لا تكون إلاّ للمؤمنين الأتقياء، ولأنّنا إذا تتبّعنا السّياق الـموضوعيّ لـمن يستحقّون النّجاة سنجد الآيات تتوالى وتؤكّد أنّ النّجاة لا تكون إلاّ للمؤمنين الأتقياء لقوله تعالى: ﴿وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٥٣﴾ [النمل: 53]. وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ٥٨﴾ [هود: 58]. وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ٦٦﴾ [هود: 66].

و إذا كانت الآيات في قصّة نوح قد أثبتت أنّ الأهل هم أهل الإيمان والعمل الصّالح، وفي قصّة إبراهيم أنّ الآل هم أيضًا الأتباع من الـمؤمنين، فإنّ قصّة لوط قد جمعت بين الـمعنيين الآل

والأهل بمعنى الـمؤمنين ونسب الدّين لا نسب الطّين في قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ٥٦ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَٰهَا مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٥٧﴾ [النمل: 56-57].

ففي هاتين الآيتين نجد دلالة قطعيّة بأنّ الآل هنا الـمقصود بها الأتباع من الـمؤمنين للوط، ثم نجد الآية التي تليها تستخدم مصطلح الأهل بمعنى الآل، وفي كلا الـمعنيين الـمقصود هم الـمؤمنون الـمتطهّرون.

ويتعزّز هذا الفهم باستثناء زوجة لوط، مع أنّها من أهله صهرًا؛ لأنّ عملها غير صالح.

فالقرآن الذي أكّد أنّ ابن نوح ليس من أهله ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾ [هود: 46]. أكّد أنّ زوجة لوط ليست من أهله؛ لأنّ عملها غير صالح ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٨٣﴾ [الأعراف: 83].

ويتعزّز هذا الفهم بأنّ زوجة لوط عملت عملاً غير صالح بمنهجيّة تفسير القرآن بالقرآن بقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡ‍ٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ١٠﴾ [التحریم: 10].

- ويتعزّز هذا الفهم بمنهجيّة تفسير القرآن بالقرآن، باستخدام القرآن لـمصطلح الآل في سياق فرعون، فمن الـمعلوم أنّ فرعون لم ينجب، وزوجته كانت امرأة صالحة، ومع هذا استخدم القرآن مصطلح آل فرعون في سياق أتباعه من جنوده بأدلة قرآنيّة صريحة قطعيّة الدّلالة من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ٤٩﴾ [البقرة: 49]. فصريح القرآن استخدم كلمة آل فرعون، مع أنّ فرعون ليس له أولاد وإنّما جنود وأتباع.

والذي يؤكّد أن الـمقصود بآل فرعون أتباعه وجنوده بمنهجية تفسير القرآن بالقرآن قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ٥٠﴾ [البقرة: 50]. فهذه الآية أكّدت أنّ آل فرعون أغرقوا في البحر، والدّليل بأنّ الذين أغرقوا في البحر جنوده بمنهجيّة تفسير النّصّ بالنّصّ قوله تعالى: ﴿فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ٧٨﴾ [طه: 78]. فهذه دلالة قطعيّة بأنّ آل فرعون هم جنوده وأتباعه.

ويتعزّز هذا الفهم بحديث الرّسول ص عن أنس بن مالك: سُئل رسول الله ص: من آل محمد؟ قال: (كلّ تقي) وتلا رسول الله ص: «إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلاَّ الـمتَّقُونَ»؛ فهذا الحديث وإن ضعف سنده، إلاّ أنه صحيح الـمتن؛ لأنّه تعزّز بقوّة النّص القرآنيّ، فإذا كان الحديث يتعزّز عند علماء الحديث بروايته من طرق أخرى، فيقولوا صحيح لغيره، أفلا يتعزّز متن الحديث بالنّص القرآنيّ، وكذلك حديث الرسول ص «سلمـان منّا آل البيت»، مع أنّ سلمـان س فارسيّ الأصل، إلاّ أنّه انتسب لبيت النّبوّة دينًا لا طينًا، وهنا تبرز عظمة الإسلام الذي جمع بين صهيب الرّوميّ، وسلمان الفارسيّ، وبلال الحبشيّ، وأبو بكر الصّدّيق العربيّ على خيريّة القيم والدّين لا خيريّة النّسب والطّين.

وقد رجح هذا الرّأي بأنّ الآل هم الأتباع الإمام النوويّ في شرحه على صحيح مسلم حيث قال ما نصّه: «واختلف العلمـاء في آل النّبيّ ص على أقوال، أظهرها وهو اختيار الأزهريّ وغيره من الـمحقّقين أنّهم جميع الأمّة».

(5) ما الـمقصود بقولنا في التّشهد «اللّهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كمـا صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم»:

أقول: إنّ الـمتدبّر للقرآن سيجد أنّ معنى الآل الوارد في سياق الصّلاة على النّبيّ الذي نردّده في التّشهد الأوسط عند كلّ صلاة هم الـمؤمنون، وليس الـمقصود بآل محمد ص بني هاشم.

والدّليل القرآنيّ القاطع هو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ٤٣﴾ [الأحزاب: 41-43]. فهذه الآية وجّهت الخطاب بدلالة صريحة قطعيّة للمؤمنين بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ولم يتوجّه الخطاب القرآنيّ يا بني هاشم، وفي سياق (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) جاء قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُ﴾ إذًا فالصلاة من الله والـملائكة هي للمؤمنين وليست لبني هاشم، ويتعزّز هذا الفهم بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾ ولم يرد في الآية، وكان الله ببني هاشم رحيمًا.

فهذه دلالة قطعيّة قرآنيّة أنّ قولنا «اللهمّ صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم» أن الـمقصود بالآل هنا هم الـمؤمنون أيْ الأتباع من الـمؤمنين، وليس آل محمد نسبًا وعرقًا وعصبيّة.

وعلى الرّغم من أنّ الآية السّالفة كافية في بيان معنى الآل في التشهّد وقطعيّة الدّلالة، إلاّ أنّني سأؤكّد هذا الـمعنى من زاوية أخرى، وهي أنّنا لو افترضنا أنّ الـمقصود بالآل السّلالة والعرق فإنّ معنى التّشهّد عندئذ سيصبح على النحو التّالي «اللهمّ صلّ على محمد وعلى آل محمد». آل محمد بنو هاشم برّهم وفاجرهم، وقولنا: «كمـا صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم» فإنّ آل إبراهيم هنا هم اليهود، وبهذا التّفسير العنصريّ لـمعنى الآل سيكون معنى التّشهد أنّ الـمؤمنين قد خرجوا من هذا الدّعاء، وأنّهم يلهجون بالدّعاء لبني هاشم برّهم وفاجرهم، ولبني إسرائيل الـمغضوب عليهم، ومثل هذا الفهم يصادم ثوابت القرآن والسّنة.

ويتعزّز هذا الفهم بأنّ الـمقصود بآل إبراهيم بني إسرائيل إذا فهمنا الآل بمعنًى عرقيّ ما ورد في القرآن من ردّ في سياق اليهود الزّاعمين أنّهم آل إبراهيم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٨﴾ [آل‌‌عمران: 68]. فقد نفت الآية ارتباط اليهود بإبراهيم مع أنّهم من نسله، وأثبتّ أنّ أولى النّاس به وآله هم أتباعه محمد ص والـمؤمنين.

آل البيت والتّأويل الـمجوسيّ للإسلام

الأصول الـمحكمة الـمتعلّقة بمفهوم أهل البيت وآل البيت في القرآن

(6) مفهوم أهل البيت وآل البيت في السّنّة النّبويّة:

بعد إيرادي للأدلّة القرآنيّة الـمتواترة القطعيّة الدّلالة لا الظّنيّة سأستشهد بأحاديث من السّنّة النّبويّة مؤكّدة للمعاني القرآنيّة السّالفة، مع العلم أنّ القرآن مقدّم في الاعتبار على السّنّة، فإذا وردت أدلّة من السّنّة موافقة له تعزّزت هذه الـمفاهيم بالقرآن والسّنّة، ولا بدّ من الإشارة في هذا الـمقام إلى أنّنا عندما نورد دليلاً من السّنّة، ويكون هذا الدّليل موافقًا لـمعنى موجود في القرآن؛ فإنّ دليل السّنّة يتعزّز بقوّة النّصّ القرآنيّ، فإذا كان الحديث حسن السّند أو ضعيف السّند، وجاء متنه مطابقًا لنصّ قرآنيّ فإنّ الحديث يصبح صحيحًا لغيره؛ لأنّه إذا كان علمـاء الحديث يعزّزون صحّة الحديث إذا كان ضعيفًا أو حسنًا إذا وردت رواية أخرى صحيحة مؤكّدة لـمعنى الحديث الضّعيف، فيطلقون على الحديث الضّعيف الـمعزّز برواية أخرى صحيح لغيره، فإنّه من باب الأولى أن يتعزّز متن الحديث الصّحيح أو الحسن أو الضّعيف بمتون النّصوص القرآنيّة.

وسأورد في هذا الـمقام أحاديث صحيحة السّند موافقة لـمتون النّصوص القرآنيّة على النّحو التالي:-

1- يقول الرّسول ص في الحديث الصّحيح «إنّ أهل بيتي هؤلاء يرون أنّهم أولى النّاس بي، وإنّ أولى النّاس بي الـمتّقون من كانوا وحيث كانوا، اللهمّ إنّي لا أحلّ لهم فساد ما أصلحت، وأيم الله، ليكفؤون أمتي عن دينها كما يُكفَأ الإناء في البطحاء» إسناده صحيح ورجاله كلّهم ثقات -تحقيق الألباني-.

ولو تدبّرنا معنى هذا الحديث الصّحيح السّند الصّحيح الـمتن لـموافقته للنّصوص القرآنيّة السّالفة لوجدناه يؤكّد عدّة معاني هامّة:

أ- أنّه وإن كان أهل البيت من النّسب والطّين، إلاّ أنّ أولى النّاس بالرّسول ص هم الـمتّقون، وهذا تأكيد من السّنّة الصّحيحة إلى أنّ أولى النّاس بمحمد ص هم الـمتّقون، وأنّ أهل بيته وآله هم الـمتّقون.

ب- الحديث لم يكتفِ بتقرير مفهوم أهل البيت وآله في الـمتّقين من كانوا وحيث كانوا، بل وصف الزّاعمين بأنّهم أولى النّاس بمحمد ص، وبالتّالي لهم حقّ احتكار الولاية والسّلطة والثّروة والعلم وصف الرّسول ص الـمدّعين هذا الادّعاء بأنّهم سيفسدون ما أصلحه من تقرير قاعدة الـمساواة بين النّاس، وأنّ أكرم النّاس هم الـمتّقون وليسوا بني‌هاشم، وأنّ الـمتّقين هم الأولى بالحقوق السّياسيّة والاجتماعيّة من الذين يفسّرون الدّين تفسيرًا عنصريًّا، فوصفهم بأنّهم سيفسدون ما أصلحه دليل قويّ على إدانة الرّسول ص لـمثل هذا التّأويل العنصريّ للدّين.

ج- ولم يكتف هذا الحديث النّبويّ بوصف الزّاعمين أنّهم أولى النّاس بمحمد ص نسبًا وطينًا بأنّهم سيفسدون ما أصلحه عبر تقرير الرّسول ص لـمساواة النّاس في الحقوق السّياسيّة والاجتماعيّة، بل وصفهم بأنّهم سيخرجون النّاس عن حقيقة دينهم، كمـا يُكفأ الإناء في الصّحراء، فماذا سيقول دعاة التّأويل العنصريّ للدّين بعد هذه الـمحكمـات من القرآن والسّنّة، وهذا الحكم الصادر عن الرّسول ص فيه إدانة خطيرة.

2- حديث الرسول ص «فتنة السّراء دخنها من تحت قدم رجل من أهل بيتي يزعم أنّه منّي وليس منّي وإنّما أوليائي الـمتّقون» حديث صحيح صحّحه الألباني في سلسلته الصّحيحة (صحيح الجامع) رقم(4194).

فهذا الحديث الصّحيح يؤكّد بجلاء مفهوم أهل البيت بنفس الـمفهوم الوارد في القرآن؛ بأنّ أهل بيت رسول الله هم الـمتّقون، ولم يكتفِ بذلك، بل أنكر مفهوم أهل البيت بالنّسب والطّين «يزعم أنّه منّي وليس منّي».

ولم يكتفِ الحديث بذلك، بل وصف التّأويل العنصريّ للإسلام بأنّه فتنة بنفس الوصف القرآنيّ لأهل الزّيغ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِ﴾ [آل‌عمران: 7].

(7) معيار التّكريم والرّفعة والعزّة في القرآن هو التّقوى والعلم والإيمان وليس النّسب:

لو تدبّرنا هذه الـمعاني القرآنيّة الهامّة (التّكريم – الرّفعة – العزّة) لوجدناها في القرآن قائمة على أساس التّقوى والعلم والإيمان، وهي معايير كسبيّة يمكن للنّاس أن يتسابقوا على تحصيلها.

ولم يجعل القرآن معايير التّكريم والرّفعة والعزّة معايير قسريّة ترتبط بالنّسب أو اللّون أو العرق أو القوم والوطن؛ فليس بيد الإنسان أن يحدّد عرقه أو لونه أو قومه، ولذلك لم يجعل الله من عدالته هذه الـمعايير القسريّة (العرق – اللّون – الوطن – القوم) معيارًا للتّكريم والرّفعة والعزّة:

معيار التّكريم في القرآن:

التّكريم في القرآن تكريمان: تكريم فطريّ وتكريم شرعيّ.

فالتّكريم الفطريّ جعله الله لكافّة بني آدم بتكريمهم بالعقل والإرادة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠﴾ [الإسراء: 70]. فهذه الآية بدلالة صريحة فيما يتعلّق بالتّكريم الخلقيّ أوضحت أنّ الله قد جعل الكرامة لبني البشر كافّة، لكنّ التّفسير العنصريّ الشيعيّ والتفسير العنصريّ اليهوديّ قد حصر التّكريم الخلقيّ في بني إسرائيل وبني هاشم.

أما التّكريم الشّرعيّ الـمطابق للفطرة فقد جعله الله معيارًا كسبيًّا لا قسريًّا وهو معيار التّقوى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحجرات: 13].

كمـا صرّح القرآن برفض التّكريم القائم على الأساس العنصريّ من خلال إسناد الخلافة لآدم في الأرض، ونزعها عن الشّيطان عندما استكبر، ورفض القرار الإلهيّ بتعيين آدم خليفة في الأرض؛ بدعوى أفضليّته العنصريّة كون آدم خُلق من طين، والشّيطان من نار في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا ٦٢﴾ [الإسراء: 62].

مفهوم الرّفعة في القرآن:

بحسب التّأويل العنصريّ الشّيعي للإسلام يصبح مفهوم الرّفعة في القرآن خاصًا ببني هاشم وآل البيت وقائمًا على أساس النّسب والهبوط والذّلّة لغيرهم.

لكنّنا نجد معيار الرّفعة في القرآن درجات والهبوط دركات مرتبطًا بمعايير كسبيّة يمكن أن يتسابق النّاس عليها وهي الإيمان والعلم والعمل الصالح لقوله تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [الـمجادلة: 11]. وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّ‍َٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ١٠﴾ [فاطر: 10]. فنظام الخدمة الـمدنيّة في القرآن له درجات وله دركات، وهذه الدّرجات والدّركات ليست قائمة على أساس عنصريّ، وإنّما على أساس إيمان وعلم وتقوى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡ﴾ [الأنعام: 165].

معيار العزّة في القرآن:

العزّة والذّلّة في القرآن قائمة على أساس الإيمان والعمل الصالح، وليس على أساس عنصريّ لقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّ‍َٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ١٠﴾ [فاطر: 10]. وقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ٨﴾ [المنافقون: 8]. فصريح هذه الآيات جعل العزّة للمؤمنين، وليس لبني هاشم، أو سلالة ونسب معيّن، وجعل معيار هذه العزّة والرّفعة الطيّب من الأقوال والأفعال، وليس الطيّب نسبًا.

الأصول الـمحكمة الـمتعلّقة بمفهوم أهل البيت وآل البيت في القرآن

(8) خيريّة القرآن وعنصريّة الشّيطان:

إنّ الـمتدبّر للقرآن سيدرك أنّه لم يكتفِ بجعل أساس الخلافة في الأرض هو الإيمان والعمل الصّالح، بل النّهي القرآنيّ الصّريح عن أيّ نظام سياسيّ أو ولاية عامة أو خلافة تقوم على أساس عنصريّ سلاليّ استكباريّ استعلائيّ، بحيث يحتكر الخلافة والولاية العامّة على أساس الأفضليّة العنصريّة ويقسم الـمجتمع إلى طبقتين:

- طبقة السّادة الـمستكبِرين.

- طبقة العبيد الـمستضعَفين.

هذه الـمعاني يمكن فهمها بجلاء من خلال قصّة آدم واستخلافه في الأرض، وموقف الشّيطان من هذا الاستخلاف هذه القصّة التي أخذت مساحة واسعة في القرآن لنأخذ منها الدّروس والعبر في سياق الخلافة، والحقوق السّياسيّة، والولاية العامّة على النّحو التّالي:

لو تأمّلنا في قصّة إبليس وآدم ÷ لوجدنا أنّ غضب الله على الشّيطان وطرده من رحمته لم يكن بسبب كفره بالله، بل بسبب كِبره واعتداده بأصله وعنصره ونسبه، وقد عدّ الله الكِبر الـمتولّد عن النّزعة العنصريّة والافتخار بالنّسب سببًا لكفر إبليس.

﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤﴾ [البقرة: 34].

- ولو بحثنا عن سبب كِبره لوجدناه كِبرًا يرتبط بدعوى أفضليّة الأصل والعرق والافتخار بالنّسب والـمحتد: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ١٢ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ١٣﴾ [الأعراف: 12-13].

- وقد جاء تمرّد الشّيطان وكِبره واستعلاؤه واعتداده بأصله وعنصره ونسبه في سياق الرّفض للقرار الإلهيّ بتعيين آدم خليفةً في الأرض ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾ [البقرة: 30].

- ومفهوم(خليفة) بالـمصطلح القرآنيّ مفهوم سياسيّ، يُقصد به الزّعامة أو الرّئاسة أو الإمامة؛ لأن الإمامة في القرآن مشتقّة من الأمام أيْ الشّخص الذي يتقدّم النّاس وهو الزّعيم أو الرّئيس، والإمامة في القرآن هي إمامة هدًى، وإمامة ضلال، نقول ذلك؛ لأنّ الأئمّة الذين حكموا في اليمن ألف عام قد شوّهوا هذا الـمصطلح، فَهُم أئمّة ضلال، ولكن هذا لا يمنعنا من استخدام هذا الـمصطلح القرآنيّ ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗا﴾ [البقرة: 124في سياق إمامة الهدى.

ومما يؤكّد أنّ مصطلح (خليفة) يُقصد به الإمامة السّياسيّة قوله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ﴾ [ص: 26].

كما أنّ مصطلح خليفة يُقصد به إلى جوار الزّعامة والإمامة السّياسيّة معنًى إضافيّ، وهو الإشارة إلى تداول السّلطة؛ لأنّ الخليفة يأتي بعد مخلوف؛ فسياق القرآن الـمتعلّق بالخلافة والاستخلاف يدلّ على هذا، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفۡ مِنۢ بَعۡدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوۡمٍ ءَاخَرِينَ ١٣٣﴾ [الأنعام: 133].

- ﴿وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡ‍ًٔا﴾ [هود: 57].

- ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [الأعراف: 169].

فالآيات السّابقة أكّدت ما ذهبتُ إليه بصريح القرآن؛ لأنّني أؤمن أنّ منهجيّة تفسير القرآن بالقرآن هي أقوى مناهج التّفسير، وهذه الـمنهجيّة تساعدنا في فهم القرآن موضوعيًّا، وتساعدنا أيضًا في فهم القرآن حتى لغويًّا. أقول هذا؛ لأنّ هذا الـمصطلح (خليفة) مصطلح مهمّ قرآنيًّا، وقد أخطأ في فهمه كثير من العلماء والـمفكّرين؛ فاعتبروا الخلافة في الأرض، وكأنّها مصطلح لتنظيم علاقة الإنسان بالأرض أيْ الطّبيعة، والحقيقة أنّه مصطلح سياسيّ لتنظيم العلاقات السّياسيّة، والخطأ الآخر من وجهة نظري الذي وقع فيه بعض العلماء والـمفكّرين هو اعتبار هذه الخلافة خلافة عن الله، في حين أنّ سياق الآيات يدلّ على أنّها خلافة بالله، فلو جاء هذا الـمصطلح (خليفة) خاصّ بآدم لاحتملنا هذا الفهم القائل إنها خلافةً عن الله، لكنّ سياق الآيات كلّها الـمتعلّقة بهذا الـمصطلح (خليفة – خلفاء – يستخلف) يؤكّد أنّه استخلاف بالله، لا استخلاف عن الله بدليل الآيات التّالية:

- ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ﴾ [النور: 55].

- ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ﴾ [الأعراف: 69].

- ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف: 74].

إذًا فمصطلح خليفة تدلّ قرآنيًّا على ثلاثة أبعاد لغويّة:-

1- أنّها زعامة ورئاسة سياسيّة لتنظيم العلاقات السّياسيّة.

2- أنّها تشير إلى تداول السّلطة ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ﴾ [الأعراف: 69]. لأنّ كلمة خليفة تدلّ على مخلوف وخالف.

3- وأنّها خلافة بالله لا عن الله، بدليل أنّ كلّ الآيات تشير إلى أنّ الله استخلف آدم وداود، واستخلف قومًا عن قوم، ووعد باستخلاف الـمؤمنين في كلّ أطوار الصّراع السّياسيّ التّاريخيّ بين الـمؤمنين والكافرين.

من خلال الـمعاني اللّغويّة لمصطلح خليفة للقرآن فإنّنا نفهم من قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾ [البقرة: 30]. أنّ خلافة آدم هنا هي خلافة بدلاً عن الـملائكة والجنّ بزعامة الشّيطان؛ أيْ أنّ الشّيطان كان هو الخليفة قبل آدم والقرائن التي تعزّز هذا الفهم هي:

أ- احتجاج الـملائكة على قرار التّعيين الإلهيّ لآدم خليفةً بقولهم: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: 30].

ومما يؤكّد شعور الـملائكة على رأسهم الشّيطان أنّ هذا الأمر (جعْل آدم خليفة) فيه دلالة على انتزاع الخلافة منهم، وارتباط هذا وتعلّقه بهم هو هذا الاحتجاج الـملائكيّ، وهذا الحوار السّياسيّ الرّائع بين الله والـملائكة الذي سعى الـملائكة من خلاله بقيادة إبليس الذي كان طاووس الـملائكة إلى التّشكيك في كفاءة آدم وجدارته بهذا الـمنصب: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: 30].

ب- ثم يأتي الـمشهد الثّاني لقصّة أوّل صراع سياسيّ شهدته الخليقة بين الـملائكة والجنّ، وبني آدم وقصّة أول حوار سياسيّ يدور حول تداول السلطة السّياسيّة، مشهد أنّ الله سبحانه وتعالى لم يغضب من الـملائكة والشّيطان على هذا الحوار السّاخن، وإنّما حاورهم، وعندما شكّكوا في كفاءة آدم، وأظهروا أنّهم أجدر منه بقولهم: «وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ».

ردّ الله عليهم بما يثبت أنّه أكفأ منهم، ولم يكن ردّ الله ردًّا نظريًّا، وإنّما لكي يقتنعوا قناعة كاملة أنّه أكفأ منهم أدخل الجميع في اختبار عمليّ: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِ‍ُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣١ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٢ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٣٣﴾ [البقرة: 31-33].

والآيات السّابقة أوضحت لنا عدّة أمور:

1. أنّ معيار ومواصفات هذا الـمنصب الأساسيّ هو العلم والكفاءة.

2. جرى الاختبار العمليّ بين آدم والـملائكة متعلّقًا بهذا الـمعيار (العلم).

3. أثبت لهم عمليًّا أنّ آدم أكثر علمًا منهم.

4. لو حاولنا معرفة سرّ تفوّق آدم العلميّ لوجدناه في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ فالكلّ تعلّم من الله تعالى، لكن ما تميّز به علم آدم يكمن في قوله تعالى: ﴿ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ فكلمة (كلّها) إشارة إلى العلم الكليّ الذي هو علم السّنن، وهو العلم الذي يقود إلى الفهم الشّامل، ويتولّد عن هذا العلم الكلّيّ خاصيّة التّنبّؤ واستباق الأحداث، ولا يصل إلى هذا الفهم إلاّ من امتلك خاصّيّة التّعلّم الذاتي وملكة فهم قويّة تحلّل وتستنبط، أمّا علم الـملائكة فهو علم جزئيّ، وليس لهم خاصّيّة العلم الذّاتيّ، ولذلك لا يعلمون إلاّ بقدر التّلقين الإلهيّ لهم مباشرة، وإن في هذه القصّة دروس بليغة في علم السّياسة وفي علم الإدارة أشرنا إليهما ولم نفصّلها.

ج- ومن القرائن على أنّ خلافة آدم جاءت بدلاً عن رئيس الـملائكة (إبليس) والـملائكة أيضًا، هو أنّه بعد إثبات كفاءة آدم العلميّة على الـملائكة تمّ إصدار التّوجيهات الرّبانيّة إليهم بالتّسليم لخلافته وإعلان طاعته من خلال الأمر الإلهيّ بالسّجود، والسّجود هنا سجود الطّاعة والاعتراف ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤﴾ [البقرة: 34].

د- من الأدلّة أيضًا على أنّ خلافة آدم كانت بدلاً عن الشّيطان رئيس الـملائكة هو قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ٦١ قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا ٦٢ قَالَ ٱذۡهَبۡ فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا ٦٣ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ٦٤ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا ٦٥﴾ [الإسراء: 61-65].

فقول الشّيطان في الآية: ﴿أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ﴾ دليل على استخلاف آدم بعد مخلوف هو الشّيطان؛ إذ عدّ الشّيطان تعيين آدم تكريمًا لآدم على الشّيطان؛ أيْ بديلاً عنه.

الأصول الـمحكمة الـمتعلّقة بمفهوم أهل البيت وآل البيت في القرآن

تابع خيريّة القرآن وعنصريّة الشّيطان:

يتّضح لنا من قصّة آدم وإبليس أنّها قصّة أوّل صراع سياسيّ في الأرض، وفيها العديد من الدّروس السّياسيّة أهمّها:

1- أنّ مشكلة الشّيطان هي مشكلة سياسيّة تتمثّل في رفضه لخلافة آدم في الأرض بحجّة وضاعة أصله وعنصره «خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ» واشتراطه الأفضليّة العنصريّة لتولّي الخلافة، وتكبّر الشّيطان باشتراطه الأفضليّة العنصريّة كشرط من شروط الولاية والخلافة كان سببًا في تكفيره وطرده من رحمة الله وحرمانه من الخلافة ﴿قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ١٣﴾ [الأعراف: 13]. ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤﴾ [البقرة: 34].

ويترتّب على هذا الـمعنى القرآنيّ الواضح الصّريح القطعيّ الدّلالة أنّ من اشترط الأفضليّة العنصريّة للولاية العامّة والخلافة، ولم يكتفِ بشرط العلم كما أوضح القرآن ذلك ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: 31]. فقد خرج عن الولاية الإلهيّة ودخل في الولاية الشّيطانيّة الطّاغوتيّة ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥٧﴾ [البقرة: 257]. فيكون حكم من فعل ذلك كحكم الشّيطان، ويجب أن يُحرم من الولاية العامّة والخلافة، بل ويُطرد من الأرض التي يحلّ فيها حتى لا يتكبّر فيها بنزعته العنصريّة الشّيطانيّة ﴿فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ١٣﴾ [الأعراف: 13]..

2- ويتعزّز هذا الفهم بمنهجيّة تفسير القرآن بالقرآن بأنّ الله حرّم الولاية العامّة والخلافة على الـمستكبرين الـمشترطين للأفضليّة العنصريّة كشرط من شروط الولاية، واختصّ الـمستضعفين بالولاية العامّة والخلافة بقوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٥﴾ [القصص: 5]. فهذا دليل قرآنيّ قطعيّ الدّلالة بأنّ الله سبحانه وتعالى اتّجهت إرادته لنصرة الـمستضعفين الـمحرومين من الحقوق السّياسيّة والاجتماعيّة، لا الـمستكبرين بإعطائهم هذه الحقوق ﴿وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾ فكما قال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾ لآدم الذي استضعفه الشّيطان واحتقره لوضاعة أصله الطّينيّ بزعمه تصرّح هذه الآية الكريمة بجعل بقيّة الـمستضعفين أئمّة ﴿وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ﴾ أيْ زعماء وقادة وخلفاء، وفي سياق الـمستضعفين والـمستعبدين القرآنيّ هذا يمكن فهم حديث رسول الله ص الـمطابق لـمعنى القرآن في قوله ص: «اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشيّ كأنّ رأسه زبيبة»، فهذا الحديث يتطابق مع القرآن من زاوية نصرة الـمستضعفين على الـمستكبرين، وإقرار الولاية العامّة فيهم، وحرمان الـمستكبرين منها، بل وطرْد الـمستكبرين وإخراجهم من الأرض التي يحلّون فيها حتى لا يفسدوها بكِبرهم.

3- أنّ الخلافة والولاية العامّة أصل من أصول الشّريعة بدليل أنّ الله سبحانه وتعالى كفّر الشّيطان ولعنه وطرده من رحمته؛ بسبب موضوع الخلافة والولاية لآدم، لا بسبب آخر عقديّ أو تشريعيّ، ومن الـمعلوم عند العلمـاء أنّ الحكم بالكفر لا يكون إلاّ في الأصول لا الـمسائل الفرعيّة.

4- أنّ الإسلام لا يقيم وزنًا للأنساب والأحساب؛ فعلى الرّغم من أنّ الـملائكة خلقوا من نور، والجنّ خُلقوا من نار، وبني آدم خُلقوا من طين إلاّ أنّ الله فضّل آدم ÷ وجعل معيار التّفاضل بين النّاس معيار كسبيّ لا قسريّ يمكن أن يتسابق النّاس في تحصيله وهو العلم والتّقوى والكفاءة والإخلاص، أمّا الـمعايير القسريّة (اللّون – الدّم – الوطن – القوم) فلا تصلح أن تكون معيارًا للتّفاضل؛ لأنّها معايير قسريّة ليس بيد الإنسان اختيارها.

4- الحوار السّياسيّ الرّائع بين الله والـملائكة، وأنّ في هذا الحوار بين الخالق ومخلوقيه لدرس بليغ لكلّ الطّغاة والـمستكبرين الذين يأنفون من استشارة أو محاورة تابعيهم، فضلاً عن محاورة مخالفيهم.

5- أنّ تداول السّلطة من أهمّ الأسباب للحروب والصّراعات السّياسيّة عبر التاريخ وأنّ الوصول إلى تداول السّلطة سلميًّا تجنيب لحياة الدّول والـمجتمعات من حروب مدمّره وهدر كبير للطّاقات والإمكانات في سبيل إرضاء قيادات سياسيّة تتنافس على السّلطة.

6- إنّ قصّة الشّيطان مع آدم في القرآن الكريم بيّنت لنا حقيقة هامّة غابت عن أذهان كثير من العلمـاء، وهي أنّ مشكلة الشّيطان العقديّة الكبرى ليست في كفره بالله؛ فهو مؤمن بالله بصريح القرآن في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٧٩﴾ [ص: 79]. وقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦﴾ [الحشر: 16]. ولكنّ مشكلته في كِبره وتمرّده واعتداده بأصله ومحتده، وفي رفضه التّسليم بحقوق آدم السّياسيّة «حقّ الخلافة في الأرض», ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾ بحجّة وضاعة نسب آدم؛ لأنّه خُلق من تراب والشّيطان خُلق من نار.

فالكِبر في الـمنظور القرآنيّ هو الخطيئة الكبرى التي استوجبت تكفير الشّيطان ولعْنه وطرْده من رحمة الله لقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤﴾ [البقرة: 34].

ومن هذا الـمنطلق القرآنيّ الواضح نقول إن من اعتدّ بنسبه وأصله لصلة قرابة بنبيّ من الأنبياء أو رسول من الرّسل معتبرًا أنّه من نسب مقدّس وأنّ الآخرين من نسب مدنّس؛ فزعم نفسه سيّدًا والآخرين عبيدًا فقد استكبر، ومن استكبر فقد كفر لصريح قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر: 59]. ومن اعتقد نفسه عبدًا لسادة من البشر فقد أشرك بالله وكفر؛ لأنّه لا يمكن أن تجتمع عبوديّة الإنسان لخالقه مع عبوديّته لبشر؛ لأنّ جوهر التّوحيد هو إطلاق حريّة الإنسان إزاء الإنسان وإعلان مبدأ الـمساواة بين البشر ﴿تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۢ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡ‍ٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل‌عمران: 64].

والقرآن بصريحه ذمّ سيادة بشر على بشر، واعتبر ذلك مظهرًا من مظاهر الشّرك والضّلال ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ٦٧﴾ [الأحزاب: 67]. فلا ربّ ولا سيّد إلاّ الله.

وذمّ القرآن الذين يفسّرون الدّين تفسيرًا عنصريًّا، ويزكّون أنفسهم زاعمين أنّهم أبناء الله وأحباؤه، أو أبناء رسول الله وأحباؤه.

فقال تعالى في سياق ذمّ اليهود –خاصّة- ومن سار على نهجهم في التّفسير العنصريّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ٤٩ ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا ٥٠﴾ [النساء: 48-50].

وكمـا لعن الله الشّيطان وطرده من رحمته؛ لأنّه زكّى نفسه عنصرًا وأصلاً فقال تعالى: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ٧٦ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٧٧ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٧٨﴾ [ص: 76-78].

نجد القرآن يلعن اليهود الذين زكّوا أنفسهم افتخارًا بنسبهم الإبراهيميّ في نفس السّياق من سورة النّساء بقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ٥٢﴾ [النساء: 52].

7- الخيريّة في الـمنظور القرآنيّ خيريّتان: خيريّة الرحمن، وخيريّة الشّيطان .. خيريّة الرّحمن هي خيريّة الأخلاق والقيم، وخيريّة الشّيطان هي خيريّة العنصر والدم: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ٧٦ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٧٧ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٧٨﴾ [ص: 76-78]. فالكِبر والاستعلاء والتّفاخر بالأصل والعنصر والنّسب هي عنوان هذه الـمدرسة، وبالتالي فمن استكبر واستعلى على بني آدم، وفسّر الدّين تفسيرًا استعلائيًّا استكباريًّا عنصريًّا فهم تابعون لـمدرسة الشّيطان وإن لبسوا لبوس الدّين، وهم (آل الشّيطان وذرّيّة إبليس) لا آل الرّسول. ويقول تعالى في بيان خيريّة الـمؤمنين لا الـمتعصّبين الـمنافقين ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [آل‌عمران: 110]. فخيريّة الإسلام هي خيريّة القيم أمرًا بالـمعروف ونهيًا عن الـمنكر، لا خيريّة الاعتداد بالأنساب والأحساب (دعوها فإنّها منتنة) كما قال الرسول ص.

8- على إثر رفض الشّيطان لخلافة آدم انقسم العالـم إلى ساحة للصّراع السّياسيّ بين حزب الله وحزب الشّيطان، وبموجب حريّة الإرادة التي مُنحت من الله للجنّ والإنس - بخلاف الـملائكة - أمهل الله الشّيطان إلى يوم القيامة لقيادة التمرّد ضدّ الله وأديانه السّماويّة، التي ما تنـزّلت إلاّ لتحقيق مصالح البشريّة دنيا وآخره ﴿يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [المائدة: 16]. وتحريرهم من الأنظمة الطّاغوتيّة الاستبداديّة التي تراعي مصالحها الأنانيّة، وتلغي مصالح الـمجتمعات والشّعوب ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [البقرة: 257].

فقد طلب الشّيطان من الله إمهاله إلى يوم القيامة قَالَ: ﴿فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٧٧ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٧٨ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٧٩ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ٨٠ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ٨١﴾ [ص: 77-81].

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٤٠﴾ [الحجر: 39-40]. فأكّد الشّيطان أنّه سيغوي بني آدم من نفس غوايته وهي النّزعة العنصريّة الاستكباريّة.

بعد هذا الخلاف انقسم العالـم -كما أسلفت- إلى ساحة للصّراع السّياسيّ بين أولياء الرّحمن وأولياء الشّيطان، أولياء الرّحمن هم أتباع النّظام السّياسيّ الإلهيّ، وهو النّظام الذي تكون فيه الولاية العامّة قائمة على أساس العقيدة لا على التّفسير العنصريّ والعصبيّة الجاهليّة؛ فالولاية العامّة والخلافة في الـمنظور القرآنيّ قائمة على أساس الإيمان، لا الأفضليّة العنصريّة؛ لصريح قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡ‍ٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥﴾ [النور: 55].

فالوعد في القرآن بالخلافة السّياسيّة والتّمكين للمؤمنين، وليس لعصبيّة جاهليّة هاشميّة أو قحطانيّة. (ليس منّا من دعا إلى عصبيّة).

فهْم الأدلّة الفرعيّة (الـمتشابهة) الـمتعلّقة بآل وأهل البيت في ضوء الـمحكم

بعد أن أوضحت الـمعاني الـمحكمة لـمفهوم آل البيت وأهل البيت في القرآن والسّنة الصّحيحة بمنهجيّة تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسّنّة الـموافقة لـمتون النّصوص القرآنيّة لا الـمتعارضة معها، عملاً بقوله تعالى: ﴿مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾ [آل‌عمران: 7]. لأن الـمنهجيّة الصّحيحة للفهم والاستدلال الذي أشارت إليه الآية السّالفة هو البدء بالـمحكم؛ أيْ الأصل (أم الكتاب)، ثمّ الـمتشابه (الفرع)؛ لأنّ الفرع –كمـا يقول علماء الأصول- لا يمكن معرفته قبل معرفة أصله، ومن هنا ينشأ التّشابه. سأبدأ بمناقشة الأدلّة الفرعيّة ومتشابهاتها على النّحو التّالي:-

(1) حديث الكسا:-

حديث الكسا من أهم وأخطر الأحاديث التي يستشهد بها من يفسّرون الإسلام تفسيرًا عنصريًّا سلاليًّا استكباريًّا «الشّيعة بمختلف مذاهبهم»، وهذا الحديث أربك أيضًا الكثير من علماء السّنة، وهو حديث رسول الله ص الـمرويّ عن عائشة قالت: (خرج رسول الله ص وعليه مرط مرجل من شعر أسود، فجاء الحسن بن عليّ، فأدخله، ثم جاء الحسين، فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء عليّ فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ [الأحزاب: 33]. (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا).

وفي رواية للتّرمذي روى بسنده إلى عمرو بن أبي سلمة ربيب النّبيّ قال:« لمّا نزلت هذه الآية على النّبيّ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ في بيت أم سَلَمة، فدعا فاطمة وحسنًا وحُسينًا، فجلّلهم بكسا وعليّ خلف ظهره، فجلّله بكسا، ثمَّ قال: اللهمّ هؤلاء أهل بيتي فأذهبْ عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيرًا. قالت أمّ سَلَمة: وأنا معهم يا نبيّ الله؟ قال: أنتِِ على مكانك، وأنت على خير».

وسأناقش مدلول هذا الحديث على ضوء القواعد الـمنهجيّة التي أشرت إليها سلفًا من عدّة زوايا:

أ- أقول هذا الحديث (حديث الكسا) ورد في سياق تفسير قوله تعالى في القرآن: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ وبعض علماء أهل السنّة من ذوي الـمنهجيّة الجزئيّة قَبِلَ هذا الحديث على قاعدة تفسير القرآن بالسّنة، وهذه القاعدة صحيحة، لكن ما ينبغي التنبّه له أنّ الـمفسّر قد يفسّر القرآن بالسّنة إذا كان نصّ الحديث موافقًا للنصّ القرآنيّ لا معارضًا له، لا سيّما إذا كانت دلالة متن النّصّ القرآنيّ قطعيّة لا ظنّيّة، أما إذا تعارض الحديث مع متن النّصّ القرآنيّ فعندئذ نعمل بالقاعدة الأصوليّة الـمشار إليها (قاعدة التّعارض والتّرجيح)؛ أيْ عندما يتعارض حديث الرسول ص الظّنّيّ السّند مع النّصّ القرآنيّ القطعيّ السّند والدّلالة، فنحاول التّوفيق بين النّصين الـمتعارضين ولو استدعى الأمر أن نغلّب الـمفهوم الـمرجوح للحديث على الـمفهوم الرّاجح، فإذا لم نستطع التّوفيق يردّ الحديث؛ لأنّه ليس كلّ حديث صحيح السّند صحيح الـمتن، كما قرّر ذلك علماء الأصول كالشّاطبي والإمام مالك الذي كان يقدّم عمل أهل الـمدينة على الحديث الآحادي الظنّي الصّحيح، وكالإمام البخاريّ الذي أورد حديث ردّ عائشة للحديث الصّحيح السّند الـمرتبك الـمتن «إنّ الـميّت ليُعذّب ببكاء أهله».

والـمفسّر الـمتدبّر للآية الـمتعلّقة بأهل البيت وتطهيرهم سيجدها خاصّة بنساء النّبيّ نصًّا ومضمونًا، بحيث لا يمكن أن يدرج في مفهوم الآية أيّ رجل لاعتبارات تتعلّق بسياق الآية ومضمونها، ولنتدبّر معنى هذه الآيات في قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ٣٤﴾ [الأحزاب: 32-34].

إن الـمتدبّر لـمتن هاتين الآيتين سيدرك بوضوح أنّ الآية وردت في سياق نساء النّبيّ، خاصّة بصريح القرآن والنّداء موجّه لنساء النّبيّ ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ ومضمون الآيتين كلّه في سياق نساء النّبيّ: ﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ﴾

وبهذا يتّضح أنّ متن الآيتين القرآنيّتين متعلّق بنساء النّبيّ ص بدلالة قطعيّة يفهمها طالب في الصفّ الثّالث إعدادي فضلاً عن عالـم مجتهد، وهذا الرّأي هو الـمشهور عن ابن عباس، كمـا جاء في تفسير ابن كثير.

وليس ذلك فحسب بل أستطيع القول بأنّ هذا السّياق القرآنيّ لا يمكن أن يدخل فيه أحد غير نساء النّبيّ ص بصورة خاصّة، والسّبب أنّه كما يقول علماء الأصول بأنّ الحكم يدور مع العلّة وجودًا وعدمًا.

فسياق الآيتين أوجب على نساء النّبيّ تكاليف وأحكامًا إضافيّة ﴿لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ هذه الأحكام والتّكاليف هي:

- ﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ﴾

- ﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾

- ﴿وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰ﴾

ثم أوردت الآية علّة هذه الأحكام والتّكاليف بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ فعلى هذا الأساس (الحكم يدور مع العلّة) لا يمكن إدخال أحد من الرجال في سياق قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ إلاّ إذا تمّ إسناد تلك الأحكام والتّكاليف إليهم، وهي عدم الخضوع بالقول والقرار في البيت وعدم التّبرّج، وهذا أمر مستحيل؛ لأنّ هذه التّكاليف التي دارت عليها العلّة منوطة بالنّساء لا بالرّجال.

ويتعزّز هذا الفهم بأنّ الـمقصود بأهل البيت في هذه الآية نساء النّبيّ بقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ فلنتدبّر معًا هذا التّعبير القرآنيّ (بيوتكن) فقد دلّ هذا التّعبير دلالة قاطعة بأنّ أهل البيت هنّ نساء النّبيّ بنسبة بيوت النّبيّ إليهن بدخول نون النّسوة على البيوت.

وبهذا نخلص بأنّ متن هاتين الآيتين قطعيّ الدّلالة بأنّ الـمقصود بأهل البيت هنا نساء النّبيّ خاصّة.

وفي هذا السّياق يمكننا القول بأنّ حديث الكسا قد عارض وخالف صريح الآيات القرآنيّة في سورة الأحزاب، عندما أخرج الحديث نساء النّبيّ من سياق هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ مع أنّ ما قبل هذا السّياق وبعده يتحدّث عن نساء النّبيّ على النّحو الذي أوضحته.

ومن هذه الزاوية يمكننا القول بأنّ هذا الحديث وإن صحّ سنده، إلاّ أنّ متنه يعارض القرآن، وقد أوضحت سلفًا بأنّ صحّة السّند لا تستوجب صحّة الـمتن، وأنّ متن الحديث إذا خالف القرآن حكم عليه بالبطلان، وإن كان صحيح السّند كما قرّر ذلك علماء الحديث، من ذلك ما أكّده الشيخ الألباني الـمحدّث الـمعاصر الشّهير في كتابه الآيات البيّنات في عدم سماع الأموات، بأنّ صحّة السّند لا تستوجب صحّة الـمتن، وأنّ هذه قاعدة مشهورة عند علماء الحديث بقوله: «الـمقرّر في علم مصطلح الحديث أنّ صحّة الحديث لا يستلزم صحّة الـمتن لعلّة فيه خفيّة، أو شذوذ من أحد رواته».

وذكر ابن القيّم في كتابه (الـمنار الـمنيف في الصّحيح من الضّعيف) أمورًا كليّة يُعرف بها كون الحديث موضوعًا، منها مخالفة الحديث لصريح القرآن.

وما قاله محدّث الديار اليمنيّة الشّيخ مقبل بن هادي الوادعي :: «كتاب ابن الجوزي من أحسن الكتب، أنصح إخواني في الله بقراءته، وهو مأخوذ من "الأباطيل" للجوزقاني، وابن الجوزي أعلم من صاحب الأباطيل، وصاحب الأباطيل متكلم فيه (1)، لكن ابن الجوزي عالـم ومحدّث فله نظران إلى الحديث. أحدهما: أنّه ينظر إلى السّند، ثمّ ينظر إلى الـمتن، فإذا رأى الـمتن مباينًا لشرع الله أو رآى فيه شيئًا من النّكارة حكم عليه، ولو كان الحديث ما في سنده كذاب» الفتاوى الحديثيّة [1\402 ط دار الآثار].

فيكون حال هذا الحديث كحال الحديث الذي ردّته عائشة ل «إنّ الـميّت ليُعذّب ببكاء أهله» لـمخالفته لصريح القرآن، وبهذا يتّضح صحّة ماحكم به ابن تيميّة على الأحاديث التي يتشبّث بها الشّيعة الرافضة بقوله: «وأمّا سائر الأحاديث التي يتعلّق بها الرّوافض فموضوعة، يعرف ذلك من له أدنى علم بالأخبار ونَقَلتها» (1). (1) منهاج السّنة [7/320ـ321].

ب- بعد أن أوضحت تعارض هذا الحديث مع نصّ القرآن الـمتعلّق بالآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ نقول بأنّ هذا الحديث يتعارض مع السّياق الـمحكم لمفهوم أهل وآل البيت في القرآن، والذي طرقناه من عدّة زوايا على النّحو السّالف.

ج- كما أنّ حديث الكسا يتعارض مع نصّ قرآنيّ متعلّق باللّباس والكسا في قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦﴾ [الأعراف: 26].

فصريح هذه الآية دلّ على وجود لباس وكسا (طينيّ جسديّ) (لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا) ولباس وكسا دينيّ (وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ).

وبهذا يتّضح أنّ من يفسّرون القرآن باللّباس والكسا العنصريّ (لباس الجسد والطّين) يعارضون صريح القرآن الذي يؤكّد أن كسا ولباس الدّين والتّقوى هو خير، وهذا تعزيز لـمفهوم أهل البيت وآل البيت بمفهوم الدّين لا الطّين بمنطلقاته الإنسانيّة لا العنصريّة الشّيطانيّة.

فهم الأدلّة الفرعيّة (الـمتشابهة) الـمتعلّقة بآل وأهل البيت في ضوء الـمحكم

(2) حديث العترة:

قال رسول الله ص: «إِنِّى تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الآخَرِ كِتَابُ اللَّهِ وَعِتْرَتِى أَهْلُ بَيْتِى» حديث صحيح (السّلسلة الصّحيحة للألباني).

هذا الحديث أيضًا من الأحاديث التي استغلها الشّيعة في مرويّات أهل السّنة، وفسّروا الإسلام تفسيرًا عنصريًّا بموجبه، ولبيان معنى هذا الحديث أقول: إنّ العالـم الـمُلمّ بالشّريعة الغرّاء مقاصد وكلّيات وجزئيّات، ومحكمات ومتشابهات، وعامًّا وخاصًّا، ومجملاً ومقيّدًا عندما يقف أمام هذا الحديث يجب أن يكون في ذهنه كافّة القواعد الـمنهجيّة التي أشرنا إليها في بداية البحث، وهو عندما يسبر غور هذا الحديث وفْق تلك القواعد، ويقف أمام حديث للرّسول ص كمثل هذا الحديث، يفترض فيه ألاّ يتوقّف عند دلالة الحديث، ويستنبط منه معنًى يعارض الـمعاني الـمحكمة التي سبق إيرادها، بل يعتبر دلالة هذا الحديث الفرعيّ متشابهة، ثم يقوم بعرض هذا الحديث على الـمحكم من الـمعاني عملاً بقوله تعالى: ﴿مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾ [آل‌عمران: 7].

وقد أشار علماء التّفسير أنّه عندما تبرز دلالة متشابهة فيتوجّب الردّ إلى الـمحكم؛ أيْ الأصل؛ لأن منشأ الإشكال عند البعض هو النّظرة الجزئيّة للنّصوص، وكأنّ كلّ نصّ موضوع مستقلّ، في حين أنّ الـمنهجيّة الصّحيحة هو التّفسير الـموضوعيّ لكافّة النّصوص الـمتعلّقة بالـموضوع مع التّمييز بين الأصل والفرع في الـموضوع الواحد والـمحكم والـمتشابه، وصدق الله العظيم القائل: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٢٤﴾ [إبراهیم: 24]. فأصل الـموضوع كجذر الشّجرة التي يعطيها الثّبات والتّماسك، وفرعها لا يثبت إلاّ إذا كان الأصل ثابتًا، وما أشرنا إليه من محكمـات وأصول في هذا الـموضوع (نسب الطّين ونسب الدّين – قصّة نوح ومفهوم الأهل في القرآن – مفهوم الآل في القرآن بأنّهم الأتباع – وحدة الأصل البشريّ (قصّة آدم) ....الخ) هي الأصول الـمحكمة الحاكمة؛ لأنّ القرآن مقدّم في الاعتبار، ويجب أن يُفهم هذا الحديث في ضوئها ما لم يُردّ، والعالـم عندما يسير وفق هذه الـمنهجيّة الـمحكمة سيسبر غور هذا الحديث كالتّالي:

معنى قوله ص: «إِنِّى تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الآخَرِ كِتَابُ اللَّهِ وَعِتْرَتِى أَهْلُ بَيْتِى»:

1- على ضوء القواعد الـمنهجيّة السّالفة اتّضح أنّ القرآن قد فرّق بين نسب الطّين ونسب الدّين، وجعل نسب الدّين فوق نسب الطّين، وبالتّالي استخدم كلّ الـمفردات اللّغويّة الدّالة على نسب الطّين في سياق نسب الدّين مثل كلمة (أخ) ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ [الحجرات: 10]. وكلمة (أب) ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الأحزاب: 6].، (الأمهات): ﴿وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ﴾ ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾ [هود: 46]. ...الخ، وبالتّالي فالحديث استخدم كلمة عترة ثم فسّر العترة بأنهم أهل البيت (وعترتي أهل بيتي)، وعليه فإنّ معنى العترة وأهل البيت في هذا الحديث هم الـمؤمنون وليس بني هاشم، وعلى ضوء هذا الفهم تنتفي الإشكاليّة من الحديث، ولا يُفهم فهمًا عنصريًّا سلاليًّا طاغوتيًّا استكباريًّا يقسم النّاس إلى سادة وعبيد؛ لأن هذا الفهم يضرب مقاصد الإسلام وكلّيّاته.

2- وعلى ضوء هذا الفهم سيكون معنى الحديث هو الإشارة إلى الإجماع أو الشّورى لقول الرّسول ص (لا تجمع أمّتي على ضلالة).

3- وإذا أدركنا أنّ هناك روايتين: رواية تقول: «كتاب الله وسنّتي» ورواية تقول: «كتاب الله وعترتي»، فستكون دلالة الحديثين هي الإشارة إلى مصادر التّشريع الـمعروفة في كتب الأصول (القرآن – السّنة – الإجماع أو الشّورى)، وبهذا الفهم لا نجد أيّ إشكاليّة في فهم الحديث.

4- ويتعزّز هذا الفهم لمعنى الثّقلين في الحديث والعترة أهل البيت بأنّهما (وحي السماء كتابًا وسنة) (والإجماع والشّورى) بما ورد في القرآن من تأكيد بأنّ مدار أمر الـمسلمين يقوم على أصلين هما:

أ- الشّريعة الإسلاميّة (قرآن وسنّة)

ب- الشّورى

أما الدّليل بأن الشّريعة هي الأصل الأول، والثّقل الأول الذي يقوم عليه أمر الـمسلمين قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨﴾ [الجاثیة: 18]. فصريح هذه الآية قد اعتبر الشّريعة هي مدار الأمر الواجبة الاتّباع.

وأمّا الدّليل القرآنيّ الذي اعتبر الشّورى الأصل الثّاني والثّقل الثّاني الذي يدور عليه أمر الـمسلمين، هو قوله تعالى: ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الشوری: 38]. فالنّصّ القرآنيّ هنا صريح الدّلالة أنّ أمر الـمسلمين من بعد الشّريعة يعود إلى الشّورى.

إذًا فالثّقلان كتاب الله والعترة هما (الشّريعة – والشّورى).

5- لو افترضنا أنّ الـمقصود بالحديث هنا (أهل البيت والعترة) بني هاشم لتصادم هذا الفهم مع كافّة الـمعاني الـمحكمة التي أشرت إليها سلفًا، وحكم هذا التّعارض إذا لم نجد لهذا الحديث تأويلاً ينسجم مع الـمعاني الـمحكمة الواردة في هذا السّياق هو ردّ الحديث على قاعدة عرض الحديث على القرآن لقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: 82]. فهذه الآية قرّرت توافق وحي السماء كتابًا وسنّة، وجعلت من اختلاف النّصوص والتّعارض دلالة على أنّها من عند غير الله، وعلى ضوء هذا الدّليل أقول لأهل السّنة الذين ضعّفوا حديث ردّ السّنة إلى القرآن بأنّ هذه آية لردّ السّنة إلى القرآن، وليس حديثًا، ولأنّ القرآن قطعيّ سندًا، والسّنة ظنّيّة، فيجب عرضها على القرآن، فإذا اختلفت مع القرآن، وتعارضت أدركنا أنّ هذا الحديث من عند غير الله ورسوله؛ أي حديث موضوع، وإن كان سنده صحيحًا.

6- كمـا أنّنا لو افترضنا أنّ الـمقصود بالعترة بنو هاشم فإلى جوار مصادمة هذا الفهم للمعاني الـمحكمة القرآنيّة الواردة بهذا الصّدد على النّحو الذي أسلفت، فإنّنا من زاوية أخرى إذا افترضنا أنّ الـمقصود بنو هاشم من العترة والآل فسنجد أنفسنا في إشكاليّة في تطبيق هذا الفهم في الواقع؛ لأنّ بني هاشم منهم الـمؤمن والكافر، ومنهم السّنيّ والشّيعيّ، وهم موزّعون بين السّنة شوافع وحنابلة وأحنافًا ومالكيّة، وموزّعون بين الشّيعة زيديّة وإثنا عشرية وإسماعيلية وبهائيّة ...الخ، وهنا سيبرز السّؤال: من الـمقصود ببني هاشم؟ السّنة أم الشّيعة؟ وإذا كانوا في السّنة فأيّ مذهب؟ وإن كانوا في الشّيعة فأيّ مذهب؟ وبهذا نخلص أنّه يستحيل تطبيق الفهم العنصريّ لهذا الحديث في الواقع.

(3) قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡ‍َٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [الشوری: 23]:

نقول ابتداء يجب أن لا نفهم هذه الآية الـمتشابهة إلاّ في ضوء الـمعاني الـمحكمة القرآنيّة السّالفة الذكر، عملاً بقاعدة ردّ الـمتشابه إلى الـمحكم.

وعلى هذا الأساس فالقرابة هنا تُحمل على قرابة الدّين وليس على قرابة الطّين، ويتعزّز هذا الفهم بمنهجيّة تفسير القرآن بالقرآن، بقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٢٢﴾ [الـمجادلة: 22]. فصريح هذه الآية نفى الـمودّة عن الأقارب طينًا أبًا وابنًا وأخوة وعشيرةً، وأثبتها دينًا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾.

فهذه دلالة قطعيّة قرآنيّة على أنّ الـمودّة لا تكون لقرابة الطّين، وإنّما لقرابة الدّين.

الخلاصة:  
من هم آل البيت في الـمنظور القرآنيّ

1- أهل البيت وآل البيت في الـمنظور القرآنيّ هم الـمنتسبون إلى الرّسول محمد ص دينًا (الـمؤمنون)، وليس الـمنتسبون للرّسول ص طينًا (بني هاشم)؛ لأن بيت النّبوة هو بيت الدّين وليس بيت الطّين.

2- وقوام هذا البيت هم الـمؤمنون لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ [الحجرات: 10].

3- وهؤلاء الـمؤمنون أمّهاتهم نساء النّبيّ لقوله تعالى: ﴿وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ﴾ [الأحزاب: 6]. والنّبيّ ص، أبو الـمؤمنين أبوّة دين لا أبوّة طين.

4- كما أنّ البيت قد تمّ تجسيده (بالكعبة) والطّائفون حوله من الـمؤمنين هم آل هذا البيت وأهله وأولياؤه، وصدق الله العظيم القائل: ﴿وَمَا لَهُمۡ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمۡ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٤﴾ [الأنفال: 34]. والقائل: ﴿وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِ‍ۧمَ مُصَلّٗىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِ‍ۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ١٢٥﴾ [البقرة: 1125].

5- وأخطر فتنة قام بها التّأويل الـمجوسيّ للإسلام، وقاتل عليها قتال لسان لا قتال سنان- هي فتنة إخراج الـمؤمنين أهل بيت الله الحرام عن معنى أهل البيت بحصره في أهله نسبًا وطينًا، لا أهله إيمانًا ودينًا، بدليل هذه الآية، والتي إن كان لها سبب نزول إلاّ أنّ العبرة بعموم اللّفظ لا بخصوص السّبب كما يقول علماء الأصول، ﴿يَسۡ‍َٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢١٧﴾ [البقرة: 217].